

الرسالة

مجلة أسبوعية للفكر والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
رئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٢٠ في سائر الممالك الأخرى

عن العدد ١٥ ملياً

الوفورات

يتفق عليها مع الإدارة

المسألة ٥٠٦ « القاهرة في يوم الإثنين ٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٢ - الموافق ١٥ مارس سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

٧ - دفاع عن البلاغة

الذوق

يكثر تردد كلمة (الذوق) في البلاغة ، كما يكثر تردد كلمة (العقل) في الفلسفة . ذلك لأن حاسة الذوق هي أداة الفن ، كما أن ملكة العقل هي أداة العلم . فن لا يذوق لا يدرك الجمال ، كذلك من لا يفقه لا يعرف الحق . ولم تؤت البلاغة إلا من فساد الذوق فيمن يكتب أو فيمن يقرأ . ولم أجد فيما أثر من أدبنا ، ولا فيما نقل إلى لغتنا ، كلاماً يفيد طالب البلاغة في موضوع الذوق على ما له من بليغ الأثر في إنشاء العمل الفني وصحة تقديره ودقة نقده . لذلك لم أر من الفضول ، وأنا في مقام الدفاع عن البلاغة ، أن أحاول تجلية هذا المعنى بمقدار ما يحسن الاستطراد في موضوع يؤدى على الطرف الأقصى من الإيجاز

ما هو الذوق ؟ الذوق حاسة معنوية تصدر عنها انبساط النفس أو انقباضها لدى النظر في أثر من آثار العاطفة أو الفكر . وقديماً فطن الناس إلى الشبه بين الذوق الحسى الذى يميز بين الطعوم ، وبين هذا الذوق المعنوى الذى يحكم في نتائج الفنون . وما أظنهم وقفوا بوجه الشبه بين هاتين الحاستين عند طبيعة الإدراك ، وإنما تعدوا به إلى قابليتهما للكمال والنقص ، واختلافهما بين الناس باختلاف الزمان والمكان والخلق والمادة

الفهرس

صفحة

- ٢٠١ دفاع عن البلاغة ... : أحمد حسن الزيات ...
- ٢٠٣ في ضيافة الهلال باشا ... : الدكتور زكى مبارك ...
- ٢٠٦ ذكرى السيد جمال الدين : الأستاذ محمود شلبى ...
- ٢٠٧ لا ... بل النعاة والمغويون { الأستاذ عبد الحميد عنتر ..
تقات ! ...
- ٢١٠ طيبة تستقبل فرعون مصر { الكاتب الفرنسى تيوفيل جوتييه
بقلم الأستاذ أحمد بدوى
- ٢١٢ السيدة سكينه بنت الحسين : الأستاذ سعيد الديوه جى ..
- ٢١٤ الذكرى الباسمة ... { للشاعر الفرنسى « جان ريشبان »
بقلم الأستاذ عبد العزيز الجيزى
- ٢١٥ الصربون المحدثون : شمائلهم { المتشرق « إدورد ولیم لين »
وعاداتهم ... { بقلم الأستاذ عدل طاهر نور
- ٢١٦ غروب [قصيدة] ... : الأستاذ محمود حسن إسماعيل
- ٢١٧ في « ليالى اللامع الناه » : الأديب حين محمود البشبيشى
- ٢١٩ هل الأسكندر الأكبر هو { الدكتور إبراهيم الدسوقي ..
ذوالقرنين المذكور في القرآن
- ٢١٩ حول تراث بنى إسرائيل : الأستاذ عبد النعال المصيدى

لتختلف في المكان الواحد، وفي الزمان الواحد، وفي الإنسان الواحد،
 تبعاً لحالات العواطف وانطباعات الحوادث واختلافات الميول
 ضع نموذجاً أمام مائة طالب ليرسموه، ثم انظر بعد ذلك
 فيما عملوا نجد الرسوم كلها تتشابه لأول وهلة؛ فإذا أطلت فيها
 النظر لا نجد رسمين منها يتشابهان، لأن الذوق الخاص بكل راسم
 جعل الصور تختلف في حقيقتها، وإن لم تختلف في جوهرها وطبيعتها
 لا بد للذوق إذن من استمداد العقل والعاطفة كليهما
 في تكوين حكمه: هذا بمقتضى المنطق السليم، وتلك بمقتضى
 الشعور الحاصل. ومرجع كل حكم من أحكام الذوق إلى القاضي
 الأعلى وهو الطبيعة. وللطبيعة، والمحدث، قانون نافذ على كل
 كائن. وقد كان للناس قبل أن يوجد الفن ذوق معنوي خلقته
 الطبيعة فيهم كما تخلق الفرائز؛ وكان لهذه الحاسة من ميلها
 ونفورها قاض يحكم على كل شيء فلا يخطئ حكمه. فلما ظهر الفن
 لم يمرض الطبيعة ولم يناقضها، وإنما حسنها وزينها وعمل أحسن
 مما عملت باتباع طريقتهما واقتباس وسيلتهما وملاحظة تطورها
 إن الفنان كلما دنا من الطبيعة كان أنقى وأصدق. أنظر إلى
 أدب الجاهليين من العرب والإغريق تجد أظهر خصائصه الحقيقة
 والسذاجة والوضوح. ذلك لأن البدوي أو الهمجي يمتاز بقوة
 بصره وحدة سمعه؛ وإن حاسته المعنوية التي تتصل بعينه وأذنه
 تمتاز كذلك بوضوح الإدراك وصدق الحاسة. وإذا كان ذوقه
 أضعف من ذوق المتمدن في التحليل والتحديد والتمييز، فإنه ثابت
 غير مضطرب، خالص غير مشوب. لقد اخترع البدوي المجازات
 البيانية والصور الخطائية قبل أن ينشأ الفن ويوضع البيان. ولقد كان
 إذا ما ضرم النوى أنفاسه، وأرمدى الهوى نفسه، يخاطب الغيَّاب
 ويظنهم يسمونه، ويكلم الأطلال والأموات ويعتقد أنهم يفهمونه.
 إسمه حين تصيبه مصيبة فيشكو، أو تسمفه صنعة فيشكر،
 أو تمسه إهانة فينتقم، تجده قد شمر بآثر ذلك في نفسه كل الشعور،
 وأداء بالعبارة الملائمة أصدق الأداء، فلا يوارب ولا يبالغ ولا
 يتكلف. لأن الطبيعة صادقة لا تعرف التمويه، صريحة لا تقبل الرياء.

محمد بن مزيات

(البقية على صفحة ٢٢٠)

على أن التنوع والتغير والاختلاف في الذوق الحسي أضعف
 وأقل، لأن مجاله مادي محدود؛ وإدراك المادي قريب، واستيعاب
 المحدود ممكن، وفعل الطبيعة والبيئة في تطوير الفرائز بطيء لا يكاد
 يحس. أما الذوق المعنوي فجعله ما يعجب وما لا يعجب من
 أعمال النفس والذهن. والمعجب وغير المعجب من هذه الأعمال
 أمور لا تزال تتأثر بموامل الزمن والإقليم والجنس والتربية
 والثقافة والحضارة والطبقة والسن؛ وكلما التبتت هذه الأمور
 التبت الذوق الذي يسيرها ويدرها ويفرق بينها ويحكم عليها.
 فالذوق الحسي مرجعه إلى الصبيغة والطبيعة طريقة واحدة؛
 والذوق المعنوي مرجعه إلى العادة وللمادة طرق متعددة. وإذن
 لا يمكن الظفر بذوق عام تصدر عنه أحكام الناس على الأعمال
 الفنية، فإن ما يعجب الحضري قد لا يعجب البدوي، وما يطرب
 المصري قد لا يطرب الأوروبي؛ رقص (ببا) خزني عند الغربيين،
 وغناء (جانيت) نهيق عند الشرقيين. وفي الغالب ترى الشيء
 الواحد يثير الاستحسان في نفس والاستهجان في أخرى. فكيف
 نجعل الذوق إذن ميزاناً في البلاغة وهو على هذا الاختلاف؟
 إن للذوق مصدرين يستمد منهما الحكم في جميع قضاياها:
 الأول العقل المترن، وهو يحكم في التناسب والقصد والترتيب
 والعلائق المشتركة بين السبب والنتيجة، أو بين الطريقة والغاية.
 والذوق المستمد من هذا المصدر له ما للعقل من الوضوح الذي
 يشرق في كل نفس مهيبة؛ وقواعده كقواعد العقل لا تتغير لأنه
 ثابت مطرد. والفنان الذي أوتي ثقب الذهن يكون في مأمن من
 الزبغ إذا اتبع قواعد الفن لأنها وضعت على هذا الأساس المكين
 والمصدر الآخر هو العاطفة، وهي الشعور الواقع على النفس
 مباشرة من طريق الحواس. وهنا كان مجال الاختلاف وسبب
 التباين؛ لأن الحقيقة في الفنون غير الحقيقة في العلوم: هي في
 العلوم محصورة مضبوطة، ولكنها في الفنون منتشرة مبسوطة؛
 ومن ذلك كان التدرج من الحسن إلى الأحسن، ومن الفائق
 إلى الممتاز. ولم ينشأ هذه الفروق إلا هذا الذوق العاطفي
 الذي يتولد من الصفات والمعادن والحوادث فيجعل الحقيقة الفنية
 تختلف في نفسها من شعب إلى شعب، ومن قرن إلى قرن، حتى

في ضيافة الهلالي باشا (*)

للدكتور زكي مبارك



كانت جريدة الأهرام نشرت أن جماعة من الوزراء سيزورون المنوفية ، وأن في منهاج الزيارة شهود اجتماع يعقده النواب والشيوخ في سنترس ، فاستفسرت من حضرة الأستاذ شافعي البنا عن المراد من ذلك الاجتماع ، فقال إنه للترحيب بالوزراء وهم في الطريق إلى عاصمة المنوفية ، وإنما اختيرت سنترس لأنها الملتقى لبلاد مركز أشمون ، ولأنها أول بلد على بحر شبين بعد عبور القناطر الخيرية

قلت لنفسى : إن اسمي يخطر في البال حين تذكر سنترس ، فما الذى يمنع من دعوة وزير المعارف للتفضل بزيارة دارى هناك ؟ وكان المفهوم عندى أن الدعوة ستقابل بالاعتذار الرقيق ، فقد كنت أعرف أن الوقت لا يتسع للزيارات ، ولكن الهلالي باشا أعزاه الله قبل دعوتى بأحسن القبول ، كفى وجهها إليه وهو في أسيوط وطن الشهامة والجود

وفي مكتب الوزير دار الحديث على الصورة الآتية :

— أهلاً بنبأنة سنترس !

— هذا اللقب لا يكتفى يا معالى الوزير في تحيتي

— وكيف ؟

— لأن الأستاذ عباس حافظ هو الذى منحني هذا اللقب في مناوشة أدبية ، وهو يريد أنى نبأنة سنترس فقط ، ولست مفكراً عالياً ، كما أريد لنفسى . وللأدباء مسالك تمجز عنها الشياطين !

— كنت أحسب أنك منحت هذا اللقب لكثرة ما تتحدث

عن سنترس

— لو صح هذا لجاز أن أكون أيضاً « نبأنة أسيوط »

فلى فيها قصائد ، وسأنتشر عنها كتاباً بعد حين

— أسيوط أوحث إليك أشياء ؟

— هي مدينة موحية ، ولعلك توافق على أن لشارع الهلالي

(*) هذا المجال رياضة للقلم على الوصف الخالى من البالغات ، وهو لمصعب الأوصاف

هناك جاذبية تفوق الوصف ، وما دخلت أسيوط إلا جملته طريقى إلى النيل

— لذلك الشارع تاريخ ، فقد كان مع الأراضى التى حواليه بستاناً من بساتين جدى ، وكان البستان هو الممر الموصل بين قصره بالمدينة ودهبته بالنيل ، فأين أنا من تلك الحياة ؟ وأين منى ذلك الثراء ؟

— إن ثروة جدك لم تضع ، يا معالى الوزير ، فلها صورة باقية هي علمك وفضلك ، وفي بعض الآثار أن ذكاء المرء محسوب عليه ، فالذكاء رزقك ، وهو أطيب الأرزاق

— من فضل الله على أهل الأدب أن يحب إليهم المعاني

— وفي سبيل المعاني سترى أنى بخلت على جيبى بثمان

شجرتين عظيمتين قامتتا في مدخل البيت

— وما حديث الشجرتين ؟

— إن تكلاً باشا صاحب جريدة الأهرام بنى في صواحي

سنترس قصرأ لا يعلو عليه غير هاتين الشجرتين ، فأنا أعزهما كل الإعزاز لأطول بهما قصر الرجل الذى قلت فيه :

ينازعنى في سنترس منازع

له من جدأ (الأهرام) مرتبَع حُصْبُ

إلى آخر القصيدة التى سأثبتها في الطبعة الثانية من ديوانى

— سأزور دارك ، مع الشكر لدعوتك الكريمة ، وإن

كان مكانى في رحلة الوزراء إلى المنوفية مكان الضيف

— وزير المعارف لا يكون ضيفاً بالمنوفية ، لأن المنوفية تمد

مصر بجواهر كثيرة من المعلمين ، وأنت وزير المعلمين ، وسيكون الجميع ضيوفك هناك

كان يجب أن أدعو الوزراء الذين بشركون في رحلة المنوفية ،

ولكن كيف أدعوهم وقد ضاق الوقت ؟

دعوت معالى الأستاذ فؤاد باشا سراج الدين بالتليفون فتلفظ

بالقبول ، ولم يفته أن ينص على أن اسم سنترس اسم جميل

ومصرت على معالى وزير العدل ، وهو رجل أبغضه بعض

البغض ، لأنه يريد ببجهاذه ونفضاله أن يكون الرجل الأول

في المنوفية لا في سنترس ! فقال حين رآنى : ما كنت أعرف

أن الهلالي باشا يمزك إلى هذا الحد . ففهمت أن الهلالي باشا

حدثه عن دعوتى قبل أن أصل إليه بلحظات

والشوى مصغر شىء الخفف عن شىء ، ولكن ما « الكُرُنات » ؟
دار ذهني مرة ومرات إلى أن عرفت أنها منقولة عن
الكلمة الفرنسية Couronne وعلى هذا تكون الكُرُنات
هى التيجان

لا بأس ، فللأدب الفرنسى فى عقلى ديون ، ومن حقه
أن يزور دارى مع الوزراء .

أما بعد فنحن فى سبيحة الاحتفال ، وقد جمعت خلايق
فى سنترس بمجز عن عدّها الإحصاء

وهذا هو « البرجاس » ، فابرجاس ؟
هو لب الخيل ، وتلك كلمة قاموسية هجرت فى أكثر
البلاد ، وبقيت مأنوسة فى سنترس

لم يكن منظوراً أن يحضر الوزراء فى الميعاد . ومن الذى
يفرض على رجال مكودين أن يحضروا يوم راحتهم فى الميعاد ؟
لم يبق إلا أن تتمتع تلك الجماهير بلعب الخيل ، وفى لعب الخيل
متعة ذوقية تذكر أبناء المنوفية بماضيهم فى الفروسية

وبجانب لعب الخيل تقوم المزامير والطبول فى لونها القديم
والحديث : فتسمع مرة « يا تخلصين فى الملالي » وتسمع مرة
« بالاك مع مين يا شاغل بالى » .

ثم ننظر فترى بُنَيَات المدارس الأولية من سملاى وسنترس
فتلتفت إلى ماضى صباك ، يوم كنت تخطب طِفلةً وهى
فى الهدى ، لأنك سمعت أن أمها من رائعات الجمال ...

أما الأطفال فقل فيهم ما تشاء . ولقد سررت أن أرى أطفال
سملاى وسنترس فى صحة وعافية . وأى أطفال ؟

الحمد لله على نعمته ، فافهم سقيم ولا ضعيف ، وإنعام
الطلائع لجيل سيكون برعاية الله أقوى الأجيال

إن وزارة الصحة لا تخاف على سنترس حين تعرض بلاد
مركز أشمون لإحدى الآفات ، فهواء سنترس شفاء من كل

داء ، وهل تذكر وزارة الصحة أن بلدنا كلفها شيئاً من المتاعب ؟
إن الله يعلم أن سنترس تعتمد على رعايته السامية ؛ وإن

الله يعلم أن أهل سنترس أحوج الناس إلى رعايته السامية ،
فهو بكرمه وفضله ولطفه يقيمهم الأسواء

قضاء لحظة تحت سماء سنترس تذهب هموى ولو كانت
أثقل من الجبال ، فلهذا البلاد روحانية منقولة عن اعتداد أهله على

ثم رجوت الأستاذ شافى البنا أن ينوب عني فى دعوة
من لم أستطع دعوتهم لضيق الوقت ، وهو أخ نعمت بمودته شهوراً
طوالاً فى غياب الاعتقال

فى عصرية اليوم الذى يسبق يوم الاحتفال دخلت سنترس
لأرى كيف استطاع أنشأى بمونة بنى أعمامهم إعداد حديقة الدار
لاستقبال الوزراء

وهناك وجدت نواب مركز أشمون يتحاورون فيما ينبئ
أن يقال

سمعت كلمات لم تعجبني ، فسارعت إلى تفنيدها فيما بيني وبين
نفسى ، لأتخذ منها مادة أنتفع بها فى إحدى المقالات ، ولأشير
عليهم بإخفائها عن الوزراء ، إن خفت أن يقولوها فى حضور
الوزراء .

فقلت فى نفسى : وما الميب فى ذلك ؟ هل نُقِلَتْ أطيان
المنوفية إلى القليوبية أو الغربية ؟ إن الذى وقع لا يزيد عن أن
العائلات الكبيرة تفرغت إلى عائلات صغيرة ، ومن هنا تمددت
المسكيات فى المنوفية ، وهذا باب من قوة الشخصية ، فلكل
فلاح فى هذا الإقليم وجود صحيح ، وهو لهذا صورة نموذجية من
الرقى المنشود

وسمعتهم يقولون : يجب أن تعرض مطالب المنوفية على الوزراء
فقلت فى نفسى : الأفضل أن يقال إن المنوفية فى استعداد
لماونة الوزراء على إصلاح سائر الأقاليم ، لأنها تملك أكبر عدد
من المفكرين

والثفت فرأيت الأخ العزيز محمد أفندى محمود عمدة سملاى
يجذب يدي ليدسّر فى أذنى كلمات ، فأتى تلك الكلمات ؟

هو يرى أن نقيم الزينات على باب البيت
وأنا أرى أن يبقى البيت بصورته الطبيعية ، لأنى أبغض

الحسن المجلوب
نعم غلب رأيه وحضر الفراشون لتزيين مدخل البيت ،
فسمعت منهم كلمات غير مفهومة ، ولكنى تظاهرت بالعلم

وتركتهم يتصرفون فى حدود ما يحسنون
« شُويّة كُرُنات ، شُويّة كُرُنات »

فأهذا من الوجهة اللغوية ؟
الكلمة الأولى مفهومة ، فالشُويّة مؤنث الشُويّة ،

واهب الخيرات والثمرات ، ورعاية الله لمن يتوكلون عليه لا تحتاج إلى بيان .

حضرت نُثْلَةٌ من الشرطة للمحافظة على النظام ، ولكن الأهالي لم يحججهم إلى تعب ، فقد عرف كل فرد واجبه ، وسادت الرغبة في أن تكون الحفلة غاية في الصفاء ومع هذا أنظر فأجد رئيس نقطة النعمانية يشكو من أن أحد أقربائي يحاول الشغب في الاحتفال ، وبعد التحري ظهر أن حامد أفندي عثمان يطلب من الحاضرين إمضاء عريضة ترفع إلى وزير المعارف ، ليتفضل الوزير بإنشاء مدرسة ابتدائية في سنترس

عند ذلك ابتسمت وقلت : يسرني أن يعرف حضرة الضابط أن معالي الهلالي باشا يحب هذا النوع من الشغب . والمطالبة بإنشاء مدرسة ابتدائية في سنترس شغب لطيف . ثم أخذت العريضة لأقدمها إلى معالي الوزير بنفسي ، وستكون أجل هدية أقدمها إليه

وأقبل الخيالة يمدون ويركضون تبشيراً بقدوم الزائرين ، فهتفت الجماهير بحياة جلالة الملك ، وصدحت الموسيقى بالسلام الملكي ثم تعالت التهاني بأسماء الوزراء وباسم رئيسهم الجليل ، شفاء الله وعافاه

كان مع الركب جماعة من المحررين والمصورين ، وهم جميعاً أصدقاء ، وكان فرحي بلقائهم فرح الأديب بالأديب وبعد تناول القهوة وقف النائب المحترم سليم أبو العلا فالتقى خطبة طويلة تحدث فيها عن أعمال الذين حضروا من الوزراء ، وقد قوبلت خطبته بالإعجاب

وكانت النية أن يحطب الأستاذ عبد البر زهران ، ولكن الوقت لم يتسع لما يريد . ثم نهض معالي الأستاذ صبرى باشا أبو علم فالتقى كلمة لطيفة شكر بها نواب مركز أشمون ، واعتذر بلطف لمن ضاق الوقت عن سماع ما أعدوا من الكلمات الجياد

وفي تلك اللحظة تموجت تلك الجماهير لتزور داري مع الوزراء ، فكان منظر لن تنساه سنترس ، ولو طال الزمان لقد أقيمت في بلدنا حفلات كثيرة سمع فيها أهل بلدنا أصوات رجال مشاهير من رؤساء الوزارات ، ولكني أستبعد

أن يكونوا فرحوا بقدر ما فرحوا في هذا اليوم السعيد أمر الوزراء الوفدين بحجب في كحجب ١١ إنك تقدم كيف شئت في المجالس والمنتديات ، ولكنك لا تستطيع سد

الجماهير عن الوفاء لهم إلى أبعد حدود الوفاء لم أكن وفدياً في أي يوم ، ولا دعوت هؤلاء الوزراء للتفضل بزيارة داري إلا لغاية أدبية ، هي أن تضيفهم سنترس ، وهي المكان الذي اختاره للاحتفاء بهم نواب مركز أشمون ، فما الذي يملك من السحر هؤلاء الوفديون ؟

كان السرايق الذي أعدته النواب يضيق برغم رحابته عن إعلان الفرح بقدوم أولئك الوزراء ، فلما وجدت الجماهير فرصة للترحيب بهم في حديقة الدار تدافعوا تدافع الأمواج ، وأعلنوا فرحهم بهتاف يشق أجواز السماء

وفي هذا الزحام وقف وزير المعارف لسمع النشيد : سنترس في سرور وهنساء وحبور وقف برجا من الأديب محمود عبد العزيز ، برغم ذلك الجو الضجّاج

أين الوقت ؟ أين ؟

إن الوزراء سيصلون الجمعة في شنوان ، فن الواجب أن نمفهم من الخطب الطوال

قال الأستاذ عبد السميع الطوخي فقرات من خطبته ، وقال الأستاذ محمد شما أحياناً من قصيدته ، ودعاني وزير العدل إلى أن ألقى خطبتي ، فاذا أقول ؟

قلت : إن الحاضرين جميعاً في ضيافة الهلالي باشا ... وطويت خطبتي . فما الذي كان في الخطبة المطوية ؟

الجواب عند شجرات الورد في حديقة داري ، وهي قد حدثتني أن الزهر يعيش يوماً أو يومين ، أما جذور أشجار الورد فهي في صلابة الجلمود ، ومنها تتخذ « البنية » التي تعجز عن إحراقها النيران

دعابة الهلالي باشا هي زهر الورد

وصلابة الهلالي باشا هي جذع الورد

وهل منعت وداعة هذا الرجل من أن يكون أحزم الرجال ؟

نكي مبارك

ذكرى السيد جمال الدين

للأستاذ محمود شلبي

أم في رجل ، وبركان نائر يرى بالجم والنار ، وصورة حية
فذة عجبية تسمى من النور وإلى النور . رجل أقام العالم وأقعدته ،
وهز الشرق هزة عنيفة فأحيا العقول بعد مواتها ، فتنبه الغافل
ونشط العاقل وخر الباطل ذليلاً خاشعاً إلى الأذقان

ذلكم يا صاحبي ، الأستاذ الفيلسوف السيد جمال الدين
الأفغاني التوفي صباح يوم الثلاثاء ٩ مارس سنة ١٨٩٧ ميلادية
ولد في قرية (أسعد آباد) من قرى كتر سنة ١٢٥٤ هجرية ،
وفي السنة الثامنة من عمره أجلس للتعليم وعنى والده بتربيته
فأبدا العناية به قوة في فطرته ، وإشراف في قريحته ، وذكاء
في مدرسته ، فأخذ من بدايات العلوم ولم يقف دون نهاياتها

واستكمل الغاية من دروسه في الثامنة عشرة من سنه ،
ثم عرض له سفر إلى البلاد الهندية ، فأقام بها سنة وبضعة أشهر
ينظر في بعض العلوم الرياضية على الطريقة الأوروبية الجديدة
ثم ذهب إلى مكة حاجاً ، ثم عاد إلى بلاده ، ولم يمكث طويلاً
حتى ناقت نفسه إلى الحركة فيعم وجهه شطر الهند وتلقته
حكومتها بحفاوة وإجلال

وهبط مصر أربعين يوماً تردد فيها على الجامع الأزهر
وخالطه كثير من طلبة العلم السوريين ومالوا إليه كل الميل ،
ولكنه تمجّل بالسفر إلى الآستانة

وصل الآستانة وهو مع ذلك بزيه الأفغاني : قباء ، وكساء ،
وعمامة عجواء ؛ وحومت عليه لفضله قلوب الأمراء والوزراء ،
وعلا ذكره بينهم وتناقلوا الثناء على علمه ودينه وأدبه ، وهو
غريب عن أزيائهم ولغتهم وعاداتهم . وبعد ستة أشهر سعى عضواً
في مجلس المعارف فأدى حق الاستقامة في آرائه وأشار إلى طرق
لتعميم المعارف لم يوافقه على الذهاب إليها رفقاًؤه

ودعى لإلقاء خطاب في دار الفنون للبحث على الصناعات ،
فلم يبعد امتناع ، وما ألقى الخطاب حتى نارت عليه مائة الرصاصين

فصدر إليه الأمر بمغادرة الآستانة بضعة أشهر حتى تسكن
الحواطر ويهدأ الاضطراب ثم يعود إن شاء ، ففارق الآستانة
مظلوماً في حقه ، مغلوباً لحذته ، وحمله بعض من كان معه على
التحول إلى مصر

مال الشيخ إلى مصر ، فهوت إليه أفئدة من الناس ، وتحلق
حول له طلاب المعرفة من كل صنف ، ثم وجه عنايته لحل عقل
الأوهام عن قوائم العقول ؛ فنشطت لذلك ألباب ، واستضاءت
بصائر ، وحمل تلامذته على العمل في الكتابة وإنشاء الفصول
الأدبية والحكمية والدينية ، فاشتغلوا على نظره وبرعوا ، وتقدم
فن الكتابة في مصر بسعيه

وهنا اصطدم الحق بالباطل ، فنفس عليه الشيوخ مكانته ،
وشغب عليه سفلة المتعلمين وهم شر من سفلة الجاهلين ، ولكنه
واصل وثبته الفكرية وأشعل النار في الهنم الخامدة ، وظل دائماً
عاملاً حتى دعى من حيدر آباد إلى كلكتة وألزمته حكومة الهند
الإقامة فيها

ولما وضعت الحرب أوزارها ، أصدع إلى مدينة لوندرة
وأقام بها أياماً قلائل ، ثم انتقل عنها إلى باريس وأقام بها ما يزيد
على ثلاث سنين واقاه في أثنائها الإمام محمد عبده .

هذا هو الرجل العجيب ، أنشأ القدر إنشاء ليكون الشعلة
المقدسة في الشرق ، في زمان هبت فيه ريح الجهل تريد أن تطفي
نور الله .

ولقد أجمع على احترامه الغرب والشرق ، وشهدت له الآستانة
وباريس وبطرسبرج بالمعقبة والغيرة والحمية على الدين .

ونظرة واحدة إلى حياة الرجل ، تدلنا على قوة شكيمته
في الحق ، وسلطته على دقائق المعاني وتحديدها وإبرازها في صورها
اللافتة بها كأن كل معنى قد خلق له ، يشد هذا وذاك قلب
سليم ، وحلم عظيم ، وقوة اعتماد على الله لا يبالي ما تأتي به صروف
الدهر . تتضافر هذه القوى الذهنية والقلبية والخلقية داخل بنيان
الرجل ، فتندفع متمطشة إلى النور والحرية ، فيندفع البطل إلى
طموحه كالأسد الوئاب ، ويتخطى العراقل المكدسة في طريقه
حتى ينال ما يبغي أو يرتقب بارقة فلوح .

إلى الأرب أنستاس ماري الكرملي

فأقول ، مراعيًا الإيجاز قصارى جهدي ، ومن الحق تعالى
أستمد السداد

المقام الأول

لا... بل النجاة واللغويون ثقات!

الأستاذ عبد الحميد عنتر

لا ينكر أحد أن للأب « أنستاس » البجائية الراوية ،
جولات في ميادين اللغة وصولات ، وأنه يطرف قراء العربية
الفينة بعد الفينة ، ببحوثه الشيفة ، وتقاشاته اللغوية الدقيقة
الممتعة ؛ ولا غرو ، فإنه بذلك يحافظ على تراث أجداده الفصحاء
وأسلافه من العرب العرباء . ونحن لا ننسى قولانه الصافية باحثاً
منقباً عن اللغة على صفحات « الأهرام » أيام الرخاء (أعادها الله
على العالم أجمع) فنحمد له غيرته على العربية ، وحده على خدمتها ،
وولوعه بالبحث عن شواردها ، فهو من أكابر الباحثين في اللغة
المحدثين ، وإن لم نر له معجماً يضارع « أقرب الوارد » للقس
« سيد الشرتوني » أو « المنجد » للأب « لويس اليسوي » مثلاً

المقام الثاني

ظاهر عنوان المقال يحمل في طياته المقدمات ونتيجتها
الجمعية الآتية :

الأب يبنى بحوثه وتحقيقاته اللغوية على أقوال اللغويين

نشرت « الرسالة » في العدد (٥٠٣) مقالاً ضافياً للأستاذ
« الأب أنستاس ماري الكرملي » تحت عنوان (لماذا لا أثق
بأقوال النجاة ولا اللغويين) . عدد فيه بعض مآخذ عليهم ،
توجب عدم ثقته « دأبكم » بأقوالهم ، ولو كانوا أدلاء أجلاء ،
إلا بعد عرضها على محك النقد والتحقيق ، فإن أظهر المحك
صدق إبريزهم ، وافق عليها وقيدها عنده ، وإلا نبذها نبذ التواة ؛
ثم عرض لذكر شيء من أخطائهم التي جمع منها ما يقع في مجلد
ضخم . هذا ملخص تصديره

وسيكون كلاً إلى « الأب » في ثلاثة مقامات :

الأول - في منزلته اللغوية

الثاني - في تخطيطه النجاة واللغويين

الثالث - في مبلغ هذه التخطيط من الصواب أو الخطأ

كالصخرة الملقاة في الفلاة لا حس لكم ولا صوت . أنظروا
أهرام مصر وهياكل منفيس وآثار طيبة ومشاهد سيوة وحصون
دمياط شاهدة بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم :

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم . إن التشبه بالرشيد فلاح
هبوا من غفلتكم ، اصحوا من سكرتكم ، انفضوا عنكم غبار
الغباء والخلول ... » .

لقد كان للرجل من حياته مقصدان : على وهو تنبيه
السليين إلى الإصلاح الديني والعلمي بالكتابة والخطابة ، وسياسي
اجتماعي وهو ترقية الشرق أية دولة كانت غير مفرق بين وطنه
وسائر البلدان .

وهكذا النفوس ذات الآفاق الرحبية التي لا تقف عند
غاية إلا لتخطاها إلى أخرى أسمى منها .

محمد شني

لقد كان السيد جمال الدين كثير التطلع إلى السياسة ، قوى
الرغبة في إنقاذ المصريين من الذل ، فدخل الماسونية وتقدم فيها
حتى صار من الرؤساء ، ثم أنشأ أحفاداً وطنياً تابعاً للشرق الفرنسي ،
ودعا تبايعته من العلماء والوجهاء إليه ، فصار أعضاؤه نحواً
من ثلاثمائة . وعظم إقبال الناس عليه حتى أقلق من يدهم
الأمر وقتئذ .

أنظر إلى الرجل وهو يخاطب العوام ليستثيرهم ، فيقول
ما معناه : « ... لو كان في عروقتكم دم فيه كريات حياة ، وفي
رؤوسكم أعصاب تتأثر ، لما رضيت بهذا الذل والمسكنة ، ولما
صبرتم على هذه الضعة والخلول ، ولما قمتم على الرضاء وأنتم
ضاحكون . تناوبتكم أيدي الرعاة ، ثم اليونان والرومان والفرس ،
ثم العرب والأكراد والماليك ، ثم الفرنسيين والماليك .. وكلهم
يشق جلودكم بمبضع نهمه ، ويهيض عظامكم بأداة عنفه ، وأنتم

للعلماء ، وأضوأ نبراس للأدباء من الكتاب والشعراء . وبعد فآظن أن هذا المقام قد استوفى حقه من التوضيح والتدليل .

المقام الثالث

قلنا : إن الخطأ الذى نوه الألب بذكره فى مقاله — هو خطأ النحاة واللغويين فى (حصر الألفاظ لبعض الأوزان) ، وهو المحور الذى يدور عليه مقاله الطويل ، القسم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول — فعلى

أورد الألب هنا قول النحاة واللغويين : ليس لنا من الجوع على وزن (فعلى) ، ألا حِجْلِي (جمع حَجَلٍ لطارٍ) وظِرْبِي (جمع ظَرَبَانٍ لدابة خبيثة الريح) ، ولا ثالث لها ، ثم أخذ يندد بعلماء النحو واللغة ، من عهد أبى الطيب التنبى ، وأبى على الفارسي إلى عهد اللغوي الكبير الشنقيطى . فإنه لم يثر أحد منهم على ثالث لهذا الوزن ، إلا الدمامينى ، فقد وجد ثالثاً بعد طول عناء ، وهو لفظ مِعْزَى جمع معزاة ، حتى جاء الشنقيطى والألب أنستاس ، فعثرا فى المخصص وغيره على ستة جموع (أسماء جموع) بوزن فعلى ، (وكلها من غريب اللغة) . وهى : العِرْقِي (أصول الشجر الممتدة فى الأرض إلى أسفل) والعِشْقِي (شجر أمر من الحنظل بالحجاز وتهامة) ، والعِفْرِي (ريش عنق الديك) ، والصَّحْحَتِي (نوع من السمك) ، وهو معرب ، ومعناه الصَّيْر (والدَّفْرِي (إسم جمع للعظم الثانى خلف الأذن ، واحدة ذفراة) ، والشَّيْزِي (خشب تصنع منه الجِيفان) . بهذه الكلمات ظهر خطأ النحاة وعلماء اللغة فى قولهم : ولا ثالث لها .

قلت : لم يصب الألب شاكلة الصواب فى هذه التخطئة ؛ فإن نظرة غير فاحصة فى قواعد النحو والتصريف ترشدنا إلى صواب ما قاله الأقدمون ، وخطأ ما جاء به التأخرون ، وإلى القارى البيان :

أثبت النحاة واللغويون وغيرهم ، كلنى (حِجْلِي وظِرْبِي) فى معرض الكلام على موانع الصرف ، وحكموا لها بحكم (ذكرى) التى تمنع من الصرف لأنثى المفصورة .

والنحاة ، والنحاة واللغويون فى نظره مخطئون غير متوق بأقوالهم . فالنتيجة المنطقية أنه هو الآخر مخطئ غير متوق بأقواله ، ويلزم هذه النتيجة نتيجة عامة ، هى أنه لا يثق أحد بأقوال النحويين واللغويين أجمعين !! وأحسب « الألب » لا يرضى لنفسه تلك الوصمة الشنعاء ، كما أعتقد عدم صحة النتيجة العامة بالبداهة على أن من يسمع كلمة (أخطأ اللغويون . أخطأ النحاة) . التى ردها « الألب » فى مقاله ، يفهم أن اللغة قد أحيط بها ، وأن علماء اللغة والنحو قوضوا بنيانها ، وهدموا أركانها مع أن ما نسب إليه فى مقاله من الخطأ (فى انتقاده) لا يبدو أنهم حصروا عدداً من الألفاظ على زنة خاصة ، وجاء هو ومن قبله بقليل يقولون :

إن فى اللغة أوزاناً آخر تنقض هذا الحصر .

والخلاصة : أنه جمل خطأهم فى العدة ، خطأ فى اللغة !

لا . يا سيدى . إن الخطأ فى اللغة شئ آخر . هو أن يفسر اللغوى لفظاً بغير معناه الذى تواضع عليه العرب ، كأنه يفسر (الماء) بمعنى العسل ، أو يجعل معنى (نَصْر) لقلوبه وهو (رَصَن) ، أو نحو ذلك . ومثلك لا يحتاج إلى هذا البيان . فالحق أن العنوان بظاهره قريب ، وإن تنصل الألب من هذه الريبة : بأنه لا يثق إلا بأقوال القدامى من النحويين وعلماء اللغة . وإذا وضع أن الخطأ الذى أُلصق بعلماء النحو واللغة إنما هو (فى العدد) لا (فى اللغة) . وجب أن يقول الألب مئ : (إن النحاة واللغويين أثبتت ثقات) ، وإن كان توثيقهم فى الحقيقة قطعى الثبوت قبل أن أوجد أنا والألب بمئات السنين .

وإن كان الأستاذ يريد بالخطأ ما وقع لصاحب القاموس أو غيره من اللغويين ، فمثل هذا لم يسلم منه لغوى ولا نحوى . هذا صاحب القاموس يحصى أخطاء صحاح الجوهري ، وهذا صاحب الجاسوس يحصى أخطاء القاموس ، وهذا الشيخ ابراهيم ناصيف اليازجى اللبباني ، والعلامة أحمد تيمور باشا ، يؤلف كل منهما فى مؤاخذات لغوية على كتاب لسان العرب ، ومع ذلك لم يجرؤ أحد فيما أعلم ، على القول برفع الثقة عن القاموس أو عن لسان العرب ؛ بل لا يزالان ولن يزالا أهم مراجع

الثقة بقوله . وصاحب التاج ثقة تابع في النقل لابن قتيبة ، وجل
« من أحاط بكل شيء علماً » . والفضل كل الفضل المتقدم

القسم الثالث - تفاعيل

أثبت الأب هنا عن تاج العروس قول العرب : « تباشير
الصبح ، وتعايب الأرض ، وتعايب الدهر ، وتفاطير النبات
والشباب ، ولا خامس لها ؛ ثم قال (الأب) : هناك سبع كلمات
من هذا القبيل ، وذكرها ، فتكون العدة اثني عشر جماعاً على
وزن « تفاعيل » ، لا أربعة كما قال صاحب التاج ، وربما كان
في اللغة ضعف هذا العدد أو أكثر . هذا كلامه

وأقول : ما قاله الأب عين الصواب ، ولكن ما كان يحسن
منه أن يذيع من على منبر « الرسالة » ، وهي الصحيفة العالمية
للآداب والعلوم والفنون - أن مثل هذا خطأ في اللغة ! بل كان
الأخلاق به - وهو على ما وصفت آنفاً من الدقة في البحث
والتحرى للصواب - أن يقول : ذلك تقصير من اللغويين
في الاستيعاب ، وحكم منهم على ما لم يعملوا فيه أو ثبوته ، أو نحو
ذلك من العبارات التي تلتئم وما نسبته إليهم من عيب (إن صح
أن يكون ما صدر منهم عيباً)

وكنا نعلم أن لغة العرب لغة ضخمة ، وأن العبء الذي
تحمله اللغويون والنحاة ، في سبيل جمع شتاتها ، وتنسيق كلماتها
والمحافظة على سلامتها من الخطأ واللحن - كان أثقل الأعباء
التي تحملها العلماء ، منذ بدء التأليف والتدوين إلى وقتنا هذا
فكيف يقال مع ذلك : لا أثق بأقوال النحاة ولا اللغويين ؛
لأنهم أخطأوا في حصر بعض الألفاظ ؟
الحق أن هذا أو أقل من هذا لا يصح أن يقال .

هبة الحبر هنر

(ينح)

أستاذ بكلية اللغة العربية

حكم في اللجنة العسكرية ١٠٠ سبيلوط سنة ١٩٤٣ بجلية ١٥ يوليو
سنة ١٩٤٣ بحبس حسن أحمد محمد الحولي مزارع بسبيلوط ثلاثة شهور
شغل وغرامه ١٠٠ جنيه والمصادرة لبيعه شوال سبيلوط كباوى بازيد
من التسيرة



حكم في اللجنة رقم ٣٤ عسكرية حلوان سنة ١٩٤٣ بتفريم إمام محمد
سليمان خمسين جنينها وعمر عمر ستين جنينها والنشر والتعليق والنقل
لغيرها من غير أن يجرى من الأمر المحدد

فلا يدلها التنوين أبداً ، وليس لها ثالث في اللغة يحكم له بهذا
الحكم . وأما (معزى) وما ذكر معها ، ففيها عن العرب
وجهان : الصرف وعدمه . فالصروف منها ألفه للحلاق بدرهم ،
وغير المتن منها ألفه للتأنيث .

ومما تجب معرفته صرفياً أن وزنى « فعلى وفعلى » إذا
ورد لها مفرد بالتاء كأرطاة (شجرة) مفرد أرطى ، وممطرة ،
مفرد معزى - فتحتم أن تكون الألف مع التاء فيه للحلاق :
الأول بدحرجة ، والثاني بزريقة ، ولا يجوز أن تكون الألف
المصاحبة للتأنيث ؛ إذ لا يجتمع في الكلمة أداتا تأنيث ، فإذا
عزى المفرد عن التاء ، فقييل : أرطى ومعزى ، كان القياس
بوجب أن تكون الألف إذن للحلاق ، ويكون اللفظ معها
منوناً . لكن العرب صرفهما تارة لهما لأصلهما مع التاء ،
ومنهما صرف تارة أخرى ، لأن ألفهما تشبه ألف جر جي
وذكرى

والخلاصة : أن ما عدا « حجلي وظربي » لا يتحتم فيه منع
الصرف . وإذن فلا ثالث لها يتحتم فيه المنع . وعلى ذلك فأبو على
الفارسي ، والمتنبي وشارح القاموس ، ومن لف لفهم ، كانوا
على حق فيما ذهبوا إليه !

القسم الثاني - فعلى

نقل الأب عن تاج العروس ، شرح القاموس ، أنه لم يجيء
على هذا الوزن إلا ثلاث كلمات لا رابع لها . وهي : أرني
(الداهية) وشعبي وأرى (موضعان) . ثم ذكر الأب لها
أخوات بلغت ستاً ؛ فتكون الألفاظ الواردة على هذا الوزن
عشرة ، لا أربعة كما قال صاحب التاج

أقول : ما قاله الأستاذ هنا صواب حقاً ؛ لكن سبقه إلى
هذا النقد أحد النحاة المتأخرين . قال الأشموني عند شرح قول
ابن مالك :

والاشتهار في مبانى الأولى يسديه وزن أرني والطول
« وزعم ابن قتيبة أنها لا رابع لها ، ويرد عليه : أرني (حب
يعقد به اللبن) ، وجنق لموضع ، وجعبي لكبار النمل » اهـ
وهذه المأخذ أهون من أن تضع من قدر ابن قتيبة ، أو ترفع

الذكرى والتاريخ

طيبة تستقبل فرعون مصر

للأستاذ الفرائسي نبو فيل هورنييه

في كتابه قصة المومياوات

[إلى جانب المصريين نحن حقاً برابرة]

نبو فيل جوتييه

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

أنى^(١)، تلك المدينة الضخمة الواسعة ، لم تمتد تضم بين أحضانها إلا الرضى والعجزة والسنين الذين لم يعودوا بعد قادرين على الحركة ، والعبيد المكلفين بحراسة المنازل ؛ ففي الشوارع والميادين ، وطرق أبي الهول ، وأقواس المعابد والأرصعة ، يجرى سيل من الناس متجه إلى النيل ؛ ويترخف هذا الجمع الحاشد اختلاف عجيب ، فالصريون يكونون القسم الأعظم ، ويمرفون بسمات وجوههم النقية ، وبقاماتهم الرشيدة العالية ، وبثيابهم من الكتان الدقيق ، ومناطقهم المثناة باعتناء ، وبعضهم يلف رأسه بنسيج ذى خطوط زرق أو خضر ، ووسطهم مشدود بسراريل ضيقة ، وظهرهم عار له لون الصلصال المحروق في هذا الجمهور الوطنى تظهر نماذج مختلفة لأجناس أجنبية : فرنوج أعالي النيل سود كآلهة من البازلت ، أذرعهم مطوقة بحلقات كبيرة من العاج ، وتتأرجح في آذانهم حلل بربرية ؛ والأنثوييون ذوو الألوان البرتزية ، والسحنات النافرة ، قلقون برغمهم في هذه الحضارة كأنهم حيوانات متوحشة في وضوح النهار ؛ والأمسيويون يعرفون بلونهم الأصفر الرائق ، وعيونهم الزرق ، ولحاهم المجددة على شكل حلزوني ، ويمصبون ردهمهم بقلانس مثبتة بمصائب ، ويلبسون أردية مطرزة ذات أهداب ؛ أما اليونانيون فيرتدون جلود الحيوانات يعلقونها بعواتقهم ، ويتركون أذرعهم وسيقانهم الموشومة وشماً غريباً ، ويحملون ريش طير فوق ردهمهم التي يتدلى منها صفيرتان ، تصيران واحدة تنظم على هيئة قرط على الصدغ

(١) ذلك — كما يقول الكاتب — هو الاسم المصرى للمدينة التي كان القدماء يدعونها طيبة ذات الأبواب المائة .

في وسط هذا الزحام عشى الرهبان عليهم الهيمية والوقار ، ردهمهم مخلوقة ، ويلفون أجسامهم بجلد النمر ، بحيث يبدو فم الحيوان كأنه مشبك حزام ، وفي أقدامهم أحذيتهم ، وبأيديهم عصي من شجر السنط قد كتب عليها بالهيرغليفية ؛ ويسير الجند إلى جنوبهم خناجرهم ذوات المسامير الفضية ، وعلى ظهورهم تروسهم ، وفي أيديهم فتوسهم ؛ والشخصيات المبجلة يحلى صدورهم أوسمة التشریف ، ويحيطها العبيد بالأحناء ، ووضع الأيدي إلى أسفل بالقرب من الأرض ؛ وتمشى بجانب الحيطان في هيئة متواضعة حزينة نسوة فقيرات ، يكدن يكن عاريات ، ينحنين تحت ثقل أثباتهن ، المتدلين من أعناقهن في خرق بالية أو قفف من الحصر ، بينما تختال فتيات جميلات بصحبهن ثلاث توابيع أو أربع — في أثوابهن الطويلة الشفافة ، التي تنعقد عند أسفل صدورهن بوشاح أطرافه مرسله ، ورضى فوقهن اللؤلؤ والذهب ، ويفوح منهن رائحة الأزهار والمطور وبين الرجال تمشى الهوادج يحملها الأنثوييون بخطى سريعة منتظمة ، والمجلات الخفيفة المسرحية بحصن زينها جلال ذات أهداب ، ويحمل رأسها الريش ؛ أما العربات التي تحمل أسراً ويجرها الثيران ، فتعشى باتشاد ، وتجد طريقها بسر بين الجمهور الذي لا يأبه بأن يداس ؛ وغالباً ما اضطر السائقون إلى أن يضربوا بسياطهم التمهلين والذين لا يحلون الطريق هذا وفوق النهر حركة غير عادية ، فعلى طول المدينة قد غطي النيل برغم سمته ، ولم بعد في الوسع رؤية مائه بقوارب من كل صنف ، فن زوارق ذات حيزوم وسكان عالين ، إلى أخرى ذات ألوان وتذهيب ، فكلها كان مستخدماً ، ولم يستنكف حتى من ركوب المراكب العدة لنقل البهائم وحمل الفواكه ، ولا الأرمات المصنوعة من خشب الخيزران ، والتي كانت معدة في المادة لحمل أوعية الصلصال ليس من السهل عبور النهر من جانب إلى جانب ، وسط جمهور يربى على ألف ألف نسمة ، بل يجب لذلك كل مهارة نوتية طيبة ونشاطهم .

ماء النيل تضربه المجاذيف وتنشقه السكانات ، فيرغى ويزبد كأنه بحر ، ويكون آلاف الدوامات التي تضعف قوة التيار والزوارق في مجموعها مختلفة ومبهجة ، فبعضها ينتهى كل من طرفيه بزهرة كبيرة من أزهار اللوتس تنحني إلى الداخل ،

رو كل لحظة تحمل الزوارق أناساً جدوا ترسو بهم فوق
ترصة فتريد كثافة الجمهور ، بينما العربات التي لا تعد تنق
صريحاً إلى ميدان العرض ، وتضيء عجالاتها كأنها شمس بين
سمر الذهبى الذى تثيره . لقد صارت طيبة في هذه اللحظة
حراً ، كما لو أن قائمها قاد شعبها أسيراً .

و شطر ، مع ذلك ، جدير بأن يصور ، ففي وسط الحضرة
بيدة التي ينهض فيها النخيل بتيجانه ، تبدو الألوان الزاهية
متبرعات والقصور وخيام الصيف محاطة بأشجار الجميز ،
و نبت السحابة) ، وكثير من أحواض المياه يضيء في
شمس ، والدوالي تشتبك محاليتها في عرائش مقوسة ، وفي
سيرة يبدو شبح قصر رمسيس بأبراجه المسائلة ، وجدران
الضخمة ، وصواريه المذهبة المزخرفة ، ترفرف فوقها الرايات
و عواء ، وأبعد من ذلك إلى الشمال يبدو التمثالان الضخمان
حارساً على عرشهما في وضع خالد لا يتأثر ، وكأنهما جبل
صخرى ذو شكل إنسانى يقوم أمام مدخل معبد أمينوفيس ،
ويرى في لون ناصع الرميوم الذى يبعد قليلاً ، والمقبرة
وحيدة للسكان الأكبر ، ولكننا من أحد الجوانب نستطيع
رؤية قصر مفتاح .

أحمد أحمد مبرى

(ينسخ)

مدرس بحلوان الثانوية للبنين

وتربط بساقها راية ، والبعض حيزومة على شكل هلال ينهد
طرافه فوق الماء ، ومنها ما يحمل فوقه نوعاً من الأبراج أو الصنوبر
يقف فوقها رؤساء النوتية ، وبعضها مكون من ثلاثة جسور
ربطت بالحبال ، ويحركها مجذاف ؛ أما المراكب العديدة التي
الحيوانات والعربات فقد ربط بعضها إلى بعض ، ووضع عب
معبر يسمح بالصعود والنزول من غير كبير عناء ، وقد كان عدد
عظيماً ، وعليها تصهل الأحسنه المطهمة ، وتضرب الخنجر
بحوافها الزائفة ، والثيران قلقة تنحنى إلى النهر بمقامها التي
يسيل منها خيوط من اللعاب ، ولكنها تهدأ إذا لاطفها قوادم
يضبط النوتية حركات المجدفين بالتصفيق ، ويحجم الملاحون
فوق الكوئل^(١) ، أو يحشون فوق سقف المركب يصدر
أوامرهم ، ويرسمون خطة السير الضرورية للانطلاق بين هذه
الكثرة المركبة من الزوارق ، ورغم الاحتراس كانت الزوارق
تصطدم أحياناً

هذه الآلاف من السفن المظلي أغلبها باللون الأبيض .
والمزخرفة بزينة خضراء وزرقاء وحمراء ، والمحملة بالرجال
والنساء اللابسات ملابس من ألوان شتى أخفت سطح النيل تده
في أماكن كثيرة ، وأظهرت تحت الأشعة الساطعة لشمس مصر
منظراً ساطعاً باهراً في حركته ، وكان الماء المتحرك بكل قوته
يضيء ويرى كأنه فضة خالصة ، أو شمس كسرت آلاف الأجر .
لقد كانت الزوارق ثقيلة بمن عليها وأبراجها مليئة بالمبارين .
وفوق سطحها يجلس الرجال والنساء والأطفال مترجمين ، تده
الجلسة المزينة لدى الشعب المصرى . ولدى رؤيتهم يخيل إلى
المرء أنهم قضاة أوزيريس ، لولا أن منظرهم لا يدل على التأمل .
وهو سمة قضاة الموت ، بل على العكس يشعر بأقصى ما يكون
من السرور

في الحق أن فرعون عاد منتصراً ، يفود معه عدداً ضخماً
من الأسرى ؛ فطيبة غارقة في السرور ، وشعبها قد خرج بأجمله
إلى المحبوب أمون رع رب التيجان ، مدبر الملكة الطاهرة ،
القدير على كل شيء إله الشمس ، منظم شئون العالم
على الجانب الغربى للنهر ، لم يكن الازدحام أقل شدة من
الشاطئ الشرقى ، وقد جاء سكان أحياء ممنون والقرى المجاورة ،

إعلان

تعلم مصلحة الأموال المقررة فقد
دفتر القسائم البيضاء رقم ٧ (أموال
مقررة) من رقم ٦٧٣٠٠١ إلى
٦٧٣١٠٠ مجموعة رقم ١
وقد اعتبرت المصلحة هذه القسائم
لاغية ، فكل من حاول استعمالها يعرض
نفسه للعقوبة الجنائية ٣٣٧

السيدة سكينة بنت الحسين

للأستاذ سعيد الديوه جي

(تتمة)

مزاها ونزكها:

إنتهى الفرزدق من حجته ويم شطر المدينة المنورة ليسلم على السيدة سكينة أملاً في صلتها ورغبة في ثنائها ليفيظ بهذا خصمه بل أكبر أعدائه « جريراً ». والفرزدق من الحزب العلوي ، طورد وسجن واضطهد بسبب تشييعه لهم . ولم يكن هذا الحب الصادق لآل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى أمام الخليفة هشام . ولكن هذا لم يخلصه من انتقاد السيدة سكينة وتهكمها به . ولما مثل في ندرتها سألته : من أشعر الناس ؟ - وهي تعلم مكانته من الشعر فهو أنغر الشعراء الأمويين وأمدحهم وأمتهم أسلوباً وأجزلهم لفظاً - قال : أنا . قالت : كذبت . أشعر منك الذي يقول :

بنفسى من تجنبه عزيز على ومن زارته لاس
ومن أمسى وأصبح لا أراه وبطرقنى إذا جمع النيام

ولا شيء يفيظ الفرزدق أكثر من تفضيل قرنه وخصمه الألد جرير عليه . بهت الفرزدق وأسقط في يده . وماذا يصنع مع سكينة التي تريد أن تلمب بعقل هذا الشيخ ؟ قال لها : والله لئن أذنت لى لأسمعتك أحسن منه . قالت : لا أحب فأخرج عني . خرج الفرزدق يمشى في أذياله ، ويخشى أن يشيع هذا الخبر فيسمعه جرير ويتخذ حجة له عليه . وفي اليوم الثانى عزم على أن يعيد الكرة لعل الله يشرح صدر سكينة فتشمله بمطافها وتغن عليه بكلمة ثناء تجبر بها كسره . ولما مثل في صالونها قالت له : من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت ، أشعر منك صاحبك حيث يقول :

لولا الحياء لهاج لى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار
كانت إذا جمع الضجيع فراشها كتم الحديث وعفت الأسرار
فقال لها : والله لئن أذنت لى لأسمعتك أحسن منه . فأمرت به فأخرج . ضاقت عليه الأرض بما رحبت فلا يدري ماذا يعمل

وعن يلود . ولكنه لم يقطع أمه من صلتها وثنائها . فقصدها في اليوم الثالث . ولما مثل في صالونها ، سألته : من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت . صاحبك أشعر منك حيث يقول : إن الميرون التي في طرفها حور تلتنا ثم لم يحين قتلانا يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به . وهن أضعف خلق الله إنسانا علم الفرزدق بأن شعر جرير قد وقع في قلبها لرقته وسلاسة ألفاظه وخلوه من الفحش والخبث ، فهو يمثل النفس الطاهرة الطيبة . عندئذ لجأ الفرزدق إلى التلطف والتوسل ، فقال لها : « يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن لى عليك حقاً عظيماً : خرجت من مكة بإرادة السلام عليك فكان جزأى منك تكذيبى ومنى من أن أسمعتك » وعرض لها بكلامه أن تهبه جارية وضيئة من جواربها أعجبتة . فضحكت سكينة وأمرت له بالجارية . وقالت : « يا فرزدق أحسن صحبتها فإني آرتك بها »

وأحاديثها مع عروة بن أذينة كثيرة . وهو من فقهاء المدينة ومحدثيها . وقد أخذ عنه الإمام مالك . كان من الأتقياء ولكن قلبه لم يخلص من الهوى . كان يحب وكان يعشق ولكن كان يستر حبه ويكتم هواه - ومهما حاول المرء كتم هواه فلا بد أن يظهر يوماً على لسانه

بينما كانت تسبر سكينة بوادى العقيق رأت هذا الشيخ قالت إليه بموكبها ووقفت عليه وقالت له : يا أبا عامر ، أنت الذى تزعم أن لك مروءة وأن غزالك من وراء عفة وأنتك تقى ؟ قال : نعم . قالت : أفأنت الذى تقول :

قالت وأبشيتها وجدى فبحت به

قد كنت عندي تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولي ؟ فقلت لها

غطى هواك وما ألقى على بصرى

قال لها : نعم

قالت : « من حولي من الجوارى حرائر إن كان هذا خرج من قلب سليم » وكيف يخرج هذا الغزل الرقيق من قلب خال من الهوى وإن لصاحبه من حب الجلال ما جمعه يتخذ له قصراً في وسط العقيق عن الأدياء والظرفاء والمجان .

بين فتيات الطبقة الأرستقراطية وتمدهن إلى بقية الطبقات . ذلك لأن السيدة سكيئة أول من ابتكره وظهر به . كما كانت تصصف جنتها تصفيفاً لم ير أحسن منه . وصارت اللمة « السكينية » هي المتبعة في تصفيف الشعر . ولم يقتصر هذا التقليد على النساء بل إن فتيان قريش أخذوا ينسقون شعورهم على مثالها . وكان عمر بن عبد العزيز إذا رأى رجلاً يصصف جنته « السكينية » جلده وأمر بحلق شعر رأسه .

وأما تنسيق ندوتها وما يجد فيها من رياش وأثاث ورياحين فكان حديث فتيات قريش . فما من فتاة إلا وترور هذه الندوة لتنظر ما استجد بها مما أبدعته قريجة سكيئة لتقلدها في ذلك .

فإن السيدة سكيئة هي سيدة نساء عصرها على الإطلاق . كانت أحسنهن عقلاً وأظرفهن ، وأعلمهن وأعلاهن مقاماً وأرفعهن أدباً . تجالس الأجلة من فريش ويسمى إلى مجلسها أصحاب العلم وأرباب الفن يستمعون إلى محاضرتها أو يلتصمون صلتها . كما كانت تطرح عليهم الأسئلة ويجادلهم بما يقولون وتنتقد آراءهم ولا تخشى في الحق لومة لائم ، ولهذا نرى قاصديها يحسبون لها حساباً . هكذا تألق هذا النجم في سماء المدينة وظل يهتدى به حتى سنة ١١١٧ هـ .

وفاتها

وفي صباح يوم شديد الحر فاضت روحها وانتقلت إلى جوار ربها . خرج النعش يتهاذى بين الجوع المحتشدة والقلوب الخاشعة والعيون الدامعة . ولكنها « حتى على الموت لا تخلو من الحسد » فإن أمير المدينة خالد بن عبد الملك أمر أن يؤخروا الصلاة عليها حتى يحضر وجلس الناس حولها حتى العشاء ولم يحضر ؛ وغلبهم النعاس فأرقدوا حولها عوداً بأربعمائة دينار وصلوا عليها جماعات جماعات . وفي صباح اليوم التالي دفنوها ودفنوا معها العلم والأدب والفن .

أقبرت الدار من سكيئة فلا شمراء ينشدون ، ولا علماء يتجادلون ، ولا رواة يحدثون ، ولا أدباء يحتكمون .

« أضحى خلاً وأضحى أهلها احتملوا »

أخني عليها الذي أخني على لبد »

مصحف المصطفى

(الموصل)

ومن تهكمها : أنها كانت في ماتم فيه بنت لعثمان بن عفان . فقالت بنت عثمان مفتخرة : « أنا بنت الشهيد » فسكتت سكيئة . فقال المؤذن : « أشهد أن محمداً رسول الله » فالتفتت إلى بنت عثمان وقالت لها : « هذا أبي أم أبوك ! » فبهت العثمانية وقالت : « لا أخفر عليكم أبداً » .

وكانت تسلك طريق الدعابة والمزح في حياتها ، ونوادرها أكثر من أن تحصى

ومن ذلك أن اسمها ديرة . فقالت لها أمها مالك ؟ فضحكت وقالت : « لسعتني ديرة ، مثل الأييرة ، أوجعتني فطيرة » .

وبعثت مرة إلى صاحب الشرطة : أنه قد دخل علينا رجل شامى فابحث إلينا بالشرط . فركب معهم وأتى إلى باب سكيئة . فأمرت بفتح له . ثم أمرت جارية من جواربها فأخرجت إليه برغوثاً وقالت : « هذا الشامي الذي شكوانه » فانصرفوا يضحكون . ولعل أجل مزحها كان مع أشعب خادمها ومضحكها . وكما لاق هذا الخنث من تنفيذ أوامرها الأمرين : تارة تأمر جواربها أن يطان بطنه وطأ شديداً تكاد تخرج أمعاؤه منه . أو تأمره أن يخنثه أو يسحبته على وجهه ويلقى خارج الدار . أو تأمره أن يقلد أصوات الحيوانات فيموى كالهرة أو يهر كالكلب . غضبت يوماً عليه فدعت حجاباً ليحلق لحيته . فقال له الحجاب : انفخ شديك حتى أتمكن منك — وأشعب حتى في مثل هذه الحالة يحاول أن يضحك سيده — فقال للحجاب : « أمرتك أن تعلمني الزمر أو أن تحلق لحيتي ؟ » فضحكت وغفت عنه .

وغضبت عليه مرة أخرى فأمرت أن يتخذ بيت من عود ويوضع فيه بيض وتبن وأدخلت أشعب به . وحلفت ألا يخرج من البيت حتى يحضن البيض كله إلى أن يفقس . ففعل أشعب — وكلما دخل زائر إلى دار سكيئة كان أشعب يقرر مثل الدجاجة — حتى فقس البيض كله فراريج . وأمرت أن تربي الفراخ بدارها . وكانت تنسبن إليه وتقول : « بنات أشعب »

تأثيرها في المجتمع

ولم تقتصر شهرتها بين أهل عصرها في العلم والأدب والفن بل كان لها تأثير شديد في كل ما تفعله . فلم تظهر بزي إلا انتشر

الذكرى الباسمة

شاعر العاطفة والوجدان مدام ريشبين (١)

JEAN RICHPIN

للأستاذ عبد العزيز العجيزي



لن أنسى لك أبداً أول حديث في الحب ،
فعلى الرغم من انصرافى إلى الصلوات ،
إلى الحشرات وتأوهات الضمير ، سأجتم كائياً ؛
غير جائل بالفكر فيما يثير الفرع في نفسى ، بل
سأجتم بخاطري في ذكرى ليلة مقمرة ولت ولم تعد

لن أنسى لك أبداً أول مناجاة ساحرة ،
ولا ما ألقىه من عنت الزمان وتتابع الحدائق
وغفلة النسيان ، ولا من تكدير الصفو وعبوس
الجو ؛ فقد طويت صفحات حظي طيكا ،
لأردع في ثناياها فؤاد وردى الناعسة .

لن أنسى أبداً أول عُرس لربيع أيامنا ، حينما
لمع لى سنا عينيك وبدأ أشد فتنة وخلابة وإغراء
من السماء الصافية ، والناية الزاهية ، والشمس
الغاربة ؛ حينما قبلت غير الهوى المترقق من فتك
الباسم . لن أنسى ذلك أبداً وإن غيبتنى المنون ...

الأطياف سكرى بسلاف شفاه الأزهار ،
والأغاني والأغريد راقصة على خدود الورود ،
لا لشيء سوى ارتشاف عذب نغمات هوانا .
فواهاً لهذا الطير ! وواهاً لهذا الزهر !
بل واهماً لنراشنا الجامح وحينما الهانم ا

في نشوة تلك الساعة غاب صوابنا حتى عن
حمد الله ، وتوهنا اللحظات تمضى على رسملها

بينما الحب مقيم دفين ، صغرتنا لقاء الزمن الوليد
ترتيب المصفور لوكره . مسكين ! مسكين أيها
الطفل الوليد ؛ فقد أخذتنا غفوة سمعنا فيها
هتاف صوت يردد : كل شيء لا يبنى .

لكن ، أواماً إنى لا أروم إثارة أحزاني وأشجاني .
أواه حبيبتي ! أواه رفيقة صباى ! أواه ليلى !
سوف يُنفخ دائماً في مزمار آهاتى وشكائى .
سوف أتقل في روض ذكراك ، جانباً
قطوف حلاوتك وأفابوق عفتك ، متنسماً شذى
قبلاتك الناعجة مناجاة قبلات القمر الحالم .

أهم بذكرى قدك الرخص البارح ، وغصنك
المعتدل الفارع ، ذكرى جسدك الذى مازج
أشراقى في معبدها الروحاني ، ذكرى أريج أديمك
الأشد من رحيق عتيق الدمام ، ذكرى الأزهار
الفواجة بمداعبة جيدك الأندى من الفجر ؛ ذكرى
مراقنا الحاقد على هوانا ، المتهب غيرة وحسداً .

أهم بذكرى أيامى السادرة في ثنايا عمرى ،
ويغمرنى عذاب ذكرياتى القدسة . وحين يشتعل
رأسى شيباً ، ويفضن الهرم وجهى ، وأصبح مثل
« كاساندر »^(١) سأستمد الدفء من قبس
ربيع حياتى ؛ وسألتبس دائماً حرارة
هذا القبس من تحت ذرات الرماد .

عندما يهب إعصار الفناء ، وأحس برد الموت
يتمشى فى ، سأذكر ربيع عمرنا الطلق النضير .
وألفظ حين ذاك النفس الأخير ، فيخبو
سراج ذكراى ، وننعم هنالك روحى بالضوء
السنى فى هيكلها النورانى ، وأودع الحياة فى
موكب الذكرى ناعم البال ، إلى أفق باسم لآلئ .

عبد العزيز العجيزي

(المصورة)

(١) مثل بطلق على كل من جاهد فى تصديق عواقب الأمور رغم

بصيرته .

(١) شاعر فرسى من شعراء القرن التاسع عشر يمتاز بألفاظه
الموسيقية ومعانيه الخيالية . له دواوين شعرية جمة ، أهمها : « المناجاة »
ومنها ترجما هذه النسخة الشذية .

٥١- المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد ولیم لیر

للأستاذ عدلى طاهر نور

الفصل الخامس عشر

استعمال التبغ والبن والحقنة والأفيون الخ

إن تحريم الخمر بأنواعها في التشريع الإسلامى ، جعل مسلمين بلجأون إلى وسائل أخرى تسبب لهم نشوة خفيفة ضروباً مختلفة من الطرب الشديد

وأكثر هذه الوسائل انتشاراً في أغلب البلدان الإسلامية يسميه العرب « كيفاً » وهو تدخين التبغ ، ولا يمكننى أن أترجم هذا اللفظ بأكثر من « لذة لطيفة » . ويبدو ، هذا التبغ أدخل إلى تركيا وجزيرة العرب وغيرها من بلاد نرق قبيل القرن السابع عشر من الميلاد^(١) أى بعد لوات قليلة من انتظام تصديره كسلعة تجارية من أمريكا ، وأوروبا الغربية . وكثيراً ما اشتد الجدل حول إباحة التدخين سلم^(٢) غير أن ذلك جاز الآن . وقد غير التبغ من طباع المدن من به من الترك والعرب وجعلهم على الأخص أكثر كسلماً كانوا

(١) يقول الاسحاق أن عادة التدخين بدأت تنتشر في مصر بين عامي ١٠١٢ و ١٠١٢ هجرية (١٦٠١ - ١٦٠٣ ميلادية)

(٢) يروى الجبرتي أنه كثيراً ما كان يحدث في عهد محمد علي باشا لكفى الذى ولى مصر ١١٠٦ إلى ١١٠٨ هجرية أن يجبر كل من يحمل كفاً على أكل حبر الشبك ومحتوياته اللطيفة . وقد يبدو هذا غير معقول لكن الأستبان القوية تستطيع أن تهضم حبر الشبك (المؤلف)

« وفي أيامه (أيام محمد علي بكباشا) كسب فرمان بتحريم شرب قان في الشوارع وعلى الدكاكين وأبواب البيوت ، ونزل الأغا والوالى ،وا بذلك وشددوا في الانكار والنكال بمن يفعل ذلك من عال أو دون ، ناز الأغا يشق البلد في التبديل كل يوم ثلاث مرات ، وكل من رأى ندمه آلة الدخان عاقبه وربما أطعمه الحجر الذى يوضع فيه الدخان بالنار . »
بر تاريخ الجبرتي الفصل الثاني في ذكر حوادث مصر وولاتها . الفقرة صة بتولية محمد باشا البديكى مصر (الترجم)

عليه قبلاً ، فهم يضيعون في تدخين شبكهم وقتاً طويلاً . إلا أنه كان ذا أثر آخر حسن ، فقد أغنى إلى قدر كبير عن استعمال النبيذ الذى يضر على الأقل بصحة سكان الأقاليم الحارة . وتقدم قصص ألف ليلة وليلة التى كتبت قبل استعمال التبغ في الشرق والتي تصور لنا بلارب عادات العرب وشمائلهم في ذلك الوقت تصوراً صادقاً ، تقدم هذه القصص أدلة وافية على أن المسلمين وقتئذ أو في العصر السابق مباشرة كانوا يشربون النبيذ علانية . ويمكن أن نقول دفاعاً عن الشبك - كما يستعمله العرب والترك - أن أنواع التبغ الخفيفة التى يستعملونها عادة لها تأثير لطيف . فهي تهدئ الجهاز العصبي وترهف الذهن بدلاً من أن تبأله . ولا شك أن الشبك يتضمن كثيراً من لذات الشرقيين ويقدم إلى الفلاح متعشاً رخيصاً زهيداً ويبيعه في الغالب عن المذات المفرقة وتعتبر القهوة ، نعيماً مماثلاً للتبغ وتؤخذ معه ، وقد ساعدا على جعل النبيذ أقل انتشاراً بين العرب . ويؤيد هذا الافتراض لفظ « القهوة » وهى تسمية عربية قديمة للنبيذ . ويقال إن هذا الشراب النعش اكتشفه في الجزء الأخير من القرن السابع للهجرة أو الثالث عشر من الميلاد متعبد عابد الشيخ عمر دفعه الاضطهاد إلى أحد جبال اليمن مع بعض أتباعه ، وحمله الجوع إلى أن يشرب منقوع البن الذى يفت هناك بالطبيعة . غير أن استعمال البن لم ينتشر في اليمن إلا بعد هذا الزمن بجباين . وقد استوردت مصر البن بين سنتي ٩٠٠ و ٩١٠ هجرية أى في أواخر القرن الخامس عشر أو ابتداء القرن السادس عشر من الميلاد ، أو قبل إدخال التبغ إلى الشرق بجبل تقريباً . وكان يشربه حينئذ في جامع الأزهر فقراء اليمن ومكة والمدينة الذين وجدوا فيه منشطاً لهم على العبادة والتسبيح ، وكانوا يكفون على شربه بكثرة . وأدخل البن إلى الأستانة بعد ذلك بنصف قرن تقريباً^(١) . وقد أثارت القهوة منازعات حادة بين المتعبدين والمتعلمين في جزيرة العرب ومصر والأستانة . فكان كثير من العلماء يؤكد أن القهوة لها خصائص مسكرة فتحرم على

(١) أنظر دساي De Sacy في : مختارات من الأدب العربي Chrestomathie Arabe الجزء الأول من ٤٢٢ - ٤٨٣ الطبعة الثانية

غروب...!

للاستاذ محمود حسن إسماعيل

مَالِي أَحْسَنُ كَأَنَّ عُمرِي فِي يَدِ الْأَخْزَلَانِ يُطَوِّى !
نَفْسِي تَنَاهَيْهَا الشَّقَاءَ وَلَمْ تَجِدْ فِي الْجَنَمِ مَأْوَى
قَلْبِي أَذَلَّتُهُ الْجِرَاحُ فَمَا يُطِيقُ بَيْنَ شَكْوَى
حُبِّي اسْتَحَالَ رَوَايَةَ لِلدَّمْعِ يَتَغَيَّرُهَا فَتَرَوَى
وَصَبَا غَرَامِي صَارَ أَبْعَدَ مِنْ مَشِيبِ النَّعِيْبِ شَأْوَى
أَغْدُو، وَأُمْنِي ... وَالْأَسَى نَارٌ أَذَابُهَا وَأَكْوَى
رَبَاهُ أَمَا أَنَا؟ ... هَلْ وَجَدْتُ عَلَى زَمَانِ النَّاسِ سَهْوًا
سَرَيْتَنِي رُوحًا ... تَمَرَّدَ أَنْ يَرَى الْأَرْضَ مَتَوَى
وَأَنَا التَّرَابُ فَكَيْفَ صِرْتُ هَوَى، وَتَعَذِّبًا، وَشَجْوًا
شُرْفَاتُ غَيْبِكَ لَا يُتَحَنُّ لِعَظِيمٍ مَنْ يَبْكِي دُؤَا
وَأَنَا إِلَيْكَ ذَرَفْتُ أَيَّامِي فَرَادَ دَبِي عُتْرًا
وَرَأَيْتُ سِحْرَكَ فِي الْوُجُودِ أَضَلَّ إِحْسَاسِي وَأَغْوَى
النَّهْرُ جَبَّارٌ عَصَاكَ فَلَاحَ مَحْمُومًا تَلَوَّى
وَالْعِطْرُ زِنْدِيقٌ يُذِيعُ عَذَابَهُ ... وَيَقُولُ: سَلَوَى
وَالطَّبِيرُ مَجْرُوحُ الْغِنَاءِ وَيُبْلِسُ الْآهَاتِ صَفْوَا
وَالرَّيْحُ جِنٌّ آتَمٌ وَخَزَنَةُ زَلَّتُهُ فَدَوَّى ...
... وَطَوَّى الْقَضَاءَ مَرْمَجِرًا مُتَصَرِّعًا يَسْتَلُّ عَفْوًا !
وَالشَّمْسُ مَسْلُولٌ تَلْفَعُ بِالْقُيُومِ وَدَسَّ بَلَوَى ...
... قَلْبَتِ عَلَى شَفَقِ الْعَمِيبِ كَأَنَّهَا فِي النَّارِ تُشَوَّى
وَاللَّيْلُ أَقْبَلَ بِمَدْلُ الْفَيْعَانِ أَسْرَارًا وَتَجَوَّى ...
وَأَنَا الْغَرِيبُ شَرِبْتُ أَحْزَانِي قَتِيلَ : شَرِبْتُ لَهْوًا
وَبَكَيْتُ حَتَّى خِلْتُ أَجْفَانِي مُعَذِّبَتِي وَتَشَوَّى !
مَاذَا رَجَائِي فِي الْحَيَاةِ إِذَا انْتَهَى مَا كُنْتُ أَهْوَى
وَوَقَفْتُ أَحْفَرُ لِاجْتِرَاحِ طَرِيقَهَا ... فَتَعُودُ شَدْوَا !

محمود حسن إسماعيل

المسلمين^(١) بينما كان آخرون يقررون أن للقهوة فضائل ، إحداها مقاومة النوم فتكون عوناً قوياً للأتقياء على عبادتهم ليلاً . وكثيراً ما كان بيع البن حينئذ يحرم ويحلل حسب رأى الحاكم . أما الآن فيقول جميع المسلمين تقريباً بحل القهوة ، ويفرطون في استعمالها ، وحتى الوهابيون الذين هم أشد المسلمين صرامة في الحكم على التبغ والتمسك بأحكام القرآن والحديث وكانت القهوة تجهز قبلاً من حب البن وقشره معاً . ولا تزال نعد في جزيرة العرب منهما معاً أو من القشر فقط . وتختصر في البلاد الشرقية الأخرى من الحب وحده يقلى ويطحن أولاً فأولاً .

في القاهرة أكثر من ألف « قهوة »^(٢) . والمقهى غرفة صغيرة ذات واجهة خشبية على شكل عقود^(٣) . ويقوم على طول الواجهة ، ما عدا المدخل ، مصطبة من الحجر أو الآجر تفرش بالحصر ويبلغ ارتفاعها قدمين أو ثلاثاً وعرضها كذلك تقريباً . وفي داخل المقهى مقاعد متشابهة على جانبيين أو ثلاثة . ويرتاد المقهى أفراد الطبقة السفلى والتجار وتزدحم بهم عصرًا ومساءً . وهم يفضلون الجلوس على المصطبة الخارجية ويحمل كل منهم شبكه الخاص وتبغ . ويقدم « القهوجى » القهوة بخمس فضة للفتيان الواحد أو عشر فضة « للبكرج » الصغير الذى يسع ثلاثة فتانين أو أربعة^(٤) . ويحتفظ القهوجى أيضاً بعدد من آلات التدخين من رجيطة وشيشة وجوزة^(٥) . وتستعمل هذه الأخيرة في تدخين التبناك والحشيش الذى يباع في بعض المقاهى . ويرتد الموسيقيون ، والمحدثون على بعض المقاهى في الأعياد الدينية خاصة (يتبع)

هذه طاهر نور

(١) وقد نسب بعضهم إلى القهوة الإصرار بالعقل والبدن إلى غير ذلك من الدعاوى والتعصبات المؤدية إلى الجدال والفتن وحصول ما أدى إلى منع بيعها ونسأ أوانيها بل وإلى تمزيق باعها بالضرب وغيره . أنظر الباب الأول من كتاب : « عمدة الصغوة في حل القهوة » للشيخ عبد القادر محمد الأنصارى الجزيرى (الترجمة)

(٢) يطلق لفظ القهوة ، وهو اسم الشراب على المكان الذى تباع فيه

(٣) أنظر الرسم الموجود في الفصل الحادى والعشرين

(٤) وكثيراً ما يباع في المقهى أيضاً في ليالى الأعياد خاصة شراب الرنجيل المحلى بالكرك

(٥) وصفت هذه الآلات في فصل سابق

نظرة جديدة

في «ليالي الملاح التائه»

بمناسبة طبعة الجديدة

للأديب حسين محمود البشبيشي

وما كان ليستطيع أن يقول سوى هذا وهو المابد للأجبال والقائل:

هاهنا بشمر الجباد ويوحى لمن شعر

تلك لمحة تكشف عن انطلاق شاعرنا من قيود البيئته
المحدودة ونظرته إلى مفاتن ومباهج الكون كوحدة تنعكس
في قلبه الشاعرأما الأساس الثاني فهو وضاعة الشعرية التي توشك أن
تطمحه بطابع خاص يكسب قصيده عذوبة في الجرس ، ورقة
في الصياغة ، وأناقة في اختيار الكلمات التي تطالعك كالعروس
في جلوتها . ومن منال لم يطرب لروعة الموسيقى وفننة التركيب
وحسن الاختيار الموفق للبحر الذي نسج منه الجندول وروعة
اختتامه بعض أبياتها بكلمات توشك أن ترقص من رقة النغم ...
مثل «خمره ، فغره ، عبره ، إثره ...» إن القارئ ليوشك أن يجد
نفسه مترنماً مرثلاً لتلك الأبيات التي تتوجها هذه الكلمات
في غير ما شعور وبغير إرادةتلك هي الحيوية الموسيقية عند ملاحنا التائه . وإنها لتلك
عليه حواسه وتنظمها وتسيرها فتراه وقد تأمل في مظاهر الجمال ،
وبواعث الشعر تتوافر على حسه الشاعر ، وتتوالى على قلبه العواطف
فلا يسهه إلا أن يعبر عن هذه العواطف المثالة المتدفقة في أنغام
تجمع بين صدق العاطفة وتدافع الحس ... وهو حينئذ يحسن
أن يعبر في مقاطع رنانة قصيرة تعطى القارئ فكرة سرعة
الانتقال النفسى الوجداني ... أنظر إليه وقد تدفق قائلاً في عاطفة
متدفقة تظهر جليلة في تدافع النغمات في كلمات ... (دعوات)
و (فرحة) و (نشيد) ...مهرجان ممالك الشرق فيه دعوات ، وفرحة ، ونشيد !!
وإن ذلك ليظهر أيضاً في قوله :وسلمت يا مولاي للوطن الذي بك يستظل ، ويستعز ، ويسلم
فقد تراجعت وتواترت الخواطر والأحاسيس فهتفت قائلاً
« بك يستظل » ، ثم تدفق مفرداً « ويستعز » ، ثم صاح منشداً
« ويسلم » ، ومن هذا قوله :

صوامع رهبان ، محاريب سجدت هياكل أرباب ، عروش قياصر

من حيوية الفن الحق أن يتجدد أثره في النفس رغم تقادم
العهد ، بما يبعث في نفس المتأمل من أحاسيس . وإني لأجد اليوم
في الحديث عن «ليالي الملاح التائه» نشوة القبول على شيء جديد
وما ذاك إلا لتجدد ما يهيج الديوان من بوارق الحس .
وسنحاول في هذا المقال أن نسبر غور هذه النفس الشعرية
ونرجع عبقريتها الفنية إلى أسسها الأصلية . نهض شاعرية
صاحب الليالي على أساسين : سعة النقل المطلع ، وضاعة الشور
الفني . فإني لتلمح أثر العامل الأول في مسيرة الشاعر لكل
ما يضطرب في عالم الإنسانية من أفراح وأحزان . فقد طلع علينا
الشاعر الفنان في كثير من المناسبات وسجل الكثير من المراتي
الفاتنة ، وإن ذلك ليظهر جلياً في قصائده : مصرع الربان ،
وبحيرة كومو ؛ وليس أدل على أصالة هذا الأساس في نفسه من
مسيرته له في كل الأحيان ، وما عهدنا بقصائد : عيد الميلاد ،
وستالينجراد بيميد ... مثل هذا يدل على أن الشاعر قد نزع
قيود الشخصية المحدودة وحلق في جو الإنسانية الفسيح فأطلع
طائرهم بمصرع الربان ، وداعب قيثارة بخلد ثبات ستالينجراد ،
وذاب لهفة وتقديراً وإعجاباً بفتنة فينسيا . ورأى بحيرة كومو
وراقه منها :بهج في كنوزها للمحبين مدّخر
بابل أم بحيرة أم قصور من الدرر
أم رؤى الخلد في الحياة تمثلن للبشر

هاله السحر منها فهتف :

لا تقل أخصب الثرى فهنا أورك الحجر !!

وتكراره لكلمة الكأس (لوسق مثواك بالكأس المصيب) ،
(هي الكأس مشرقة في يدك) ، (هي الكأس والوتر) .
وتكراره لكلمة الزورق (وضمنا فيه زورق يجرى) ، (يسرى
عليها للملائك زورق) ، (ترب النيل تحت زورقه) .

... ونعمة ناحية أخرى تلمحها خلال ديوانه وهي أن أسدق
ما صاغه في حب وطنه كان وهو في غربة عنه ؛ وتلك بارقة نفسية
عميقة تدلنا على أن الفائد للشيء هو خير من يقدره ... أنظر
إليه كيف تذكر النيل ومصر وهو على ضفاف (كومو) وفي
جلوة الجنود بفينسيا . وبعد فلا يسمنا إلا أن نهتف أن هذا
الشاعر المغمم بالآشباح والحيرة والشروء والأحلام والزورق خير
مثال لتأثر الشاعر وتقيده بأحاسيسه الأصيلة ... أفلم يخضع لهذه
الحيرة السابحة والأحلام والآشباح فأبى إلا أن يكون ملاحاً
نابهاً ...
م. ج. محمد البنييني

ونعمة ناحية أخرى جذيرة بالتأمل أخطأ به بعض الناس ...
وهي ميل ملاحنا التائه إلى تكرار بعض الصور ، لا سيما جمل
بعض مراض القلوب يتوهمون أن ذلك مبدع في التخيل
وضيق في الأفق ... وما ذلك من الحق في شيء ، إنما ننظر
إلى الأمر نظرة التأمل فنقول : التكرار عند ... تكرار
يوشك أن يقتصر على مرتين أو ثلاث ، ولا يتعد أرقام
فهو طابق طلاقة الحس المعب ... والآ ... من مظاهر
القصور ، والثاني نعتقد أنه من آثار الانسداد مظهر التعبير
وجوه الشعور . وعلى طه في تكراره فنان يسر ... وعجب
بفنه ؛ وهيات أن يستطيع الخلاص من قيده ... وإذا كان
في قرارته حب شيء أو معنى فلا أقل من أن يعطى مردداً له
مستطيقاً لتكراره ... ولكنه حين يكرر ... يميل في عرض
مشاعره ويلبسها ثوباً جديداً تستشف من خلاله ماله بوشائج
قوية مع أصولها الثابتة في أغوار نفسه . ولعل مسألة تظهر جلية
إذا علم القارئ أن أهم صفة في خلق شاعر هي الوفاء ...
فما يستغرب إذاً منه الوفاء لبعض أحاسيسه ... ! وما تلك
الأحاسيس والصور التي يطيب للملاح أن يكرر ما ... ؟ هي :
(الحلم ، الآشباح ، الزورق ، الكأس) نعم إن التأمل ليهوله
كثرة ما ردد شاعرنا المبقري هذه الكلمات ... لكننا بقليل
من التأمل نقول إن هذه الكلمات وإن اختلفت في الدلالة فقد
اتفقت في الباعث الأصيل لها ... وإليك الدلائل ... إن الانفعال
الذي تحسه عند تصورك الحلم وانطلاقه هو بلا ... ما تحسه عند
توهمك الشبح وتهاويله . وما يصدق على الأحلام والآشباح
يصدق على الكأس وعصيرها . وهل كانت الكأس إلا الوسيلة
للانطلاق في جواء سحيرة فسيحة ؟ وإن ما يصدق على الأحلام
والآشباح والكأس ليصدق على حيرة الزورق ، فإن حيرة لمعطيك
رهبة الرياح الهوج والأمواج الرعن ... هذا وإل الماري بعض
هذا التكرار الفني الجميل الذي يتركز على طبيعته ... فقد كرر
كلمة الحلم قائلاً :

(حلم مثلته في خاطري) ، (يا عروس البحر يا حلم الخيال) ،
(غرقان في حلم عذب تسلسله) و (أحلام الآيال الكواعب)

سينما — توديو مصر

ابتداء من الاثنين ١٥ مارس ١٩٤٣

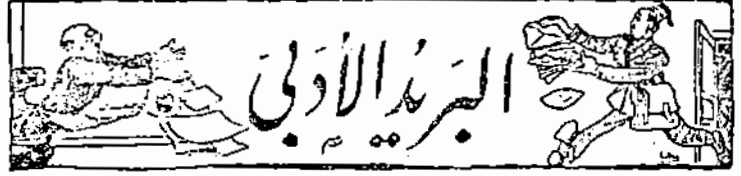
والأيام التالية

يقدم

فانتازيا

رسوم متحركة بالألوان الطبيعية

س ٢٢٧٣ — ت ٥٦٦٥



وأشور في شمال بلاد النهرين ، وبلاد آسيا الصغرى ، والمستعمرات اليونانية التي بها ، وبلاد الفينيقيين بسورية ، وأرض المبرانيين بفلسطين ، ومصر... وعلى ذلك فالآيات القرآنية الكريمة التي جاءت في سورة الكهف هي في

الحقيقة تاريخ دولة برمتها ، والأعمال التي قام بها ملوكها . ومع ذلك إذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجد برفع ذا القرنين إلى مصاف المؤمنين ، في حين أن الإسكندر الأكبر كان وثنيًا يدعى أنه ابن الإله آمون ، وأوصى بأن يدفن بعد موته بمسجد آمون بسبوة . وكان مهتكًا يحيل إلى الفجور وشرب الخمر وكان ذلك سبب وفاته . وكانت جثته تعبد بعد موته . فلا يعقل أن يكون هو ذا القرنين الذي يقول فيه القرآن الكريم : (قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابًا نكرًا . وأما من آمن وعمل صالحًا فله جزاء الحسنى) . والآية الكريمة التي تقول : (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حثة) تنطبق على الملك كورش الذي اتجه غربًا وفتح بلاد الفينيقيين بسورية حتى بلغ البحر الأبيض المتوسط (فوجد الشمس تغرب فيه) . أما سد يأجوج ومأجوج فالذي أقامه هو الملك كورش أيضًا ، وهو الآن في موضع اسمه (دريند) ومعناها السد ، وهو أثر سد قديم بين الجبال في بلاد التركستان في وسط آسيا . وروى الرواة في تلك البلاد أنه كان خلف هذا المكان قديمًا قبيلتان : إحداهما تسمى ياقوق والأخرى ماقوق . ولقد غار السد بفعل الزلازل . وهذا يفسر قوله تعالى : (فإذا جاء وعد ربك جعله دكًا) . ومن نسل يأجوج ومأجوج كانت جيوش تيمورلنك وحفيده هولاكو الذين خربوا بغداد وأسقطوا الدولة العباسية .

من هذا نرى أن الإسكندر ليس ذا القرنين ، وعلى ذلك ليس من العدل أن نلصق به هذا اللقب بالإكراه . وإذا كان ولا بد أن نجعل له قرونًا فلا مانع من تسميته بذي القرن الواحد .

المكتوب إبراهيم المصطفى

هول تراث بني إسرائيل

قرأت ما كتبه الأستاذ الساكت ردًا على تخطئتي للمفسرين في تراث بني إسرائيل ، فوجدته يؤيد ما ذكرته من رجوع بني إسرائيل إلى مصر بأن الألويسي رأى في بعض الكتب أنهم رجعوا مع موسى وبقوا معه بمصر عشر سنين ، وبأن صاحب

هل الاسكندر الأكبر هو ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم

يعتقد بعض المؤرخين خطأ أن الإسكندر الأكبر هو ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم . فنجد المقرئ والمسمى يحاول أن يثبت أنه (هو) ، وكذلك الأستاذ فريد وجدى في دائرة معارفه ، وغيرهم كثيرون . ومنهم من يدعى أن سبب تسميته بذي القرنين أنه ملك قرنى الدنيا ، وأن له صغيرتين ، أو أنه شجاع كالكلب ، وغير ذلك من الترهات التي لا يجوز أن يعتمد عليها المؤرخ . ويحيل إلى أن سبب خطئهم جميعًا هو عدم اطلاعهم على التوراة . فلو رجعنا إليها لعرفنا سبب هذه التسمية التي ألصقها المؤرخون خطأ بالإسكندر

ولكي نلم بالموضوع يحسن أن نتساءل : لماذا ذكر القرآن الكريم شيئًا عن ذى القرنين ؟ وجواب ذلك سيوضح لنا كل شيء : سأل اليهود وكفار قريش النبي عليه الصلاة والسلام عن شخص لم يذكروا اسمه جاب الدنيا شرقًا وغربًا ، وكان له ملك عظيم . ويقصد اليهود بذلك ذا القرنين المذكور في التوراة . فنزلت آيات القرآن الكريم عن ذى القرنين في سورة الكهف . وإليك رواية التوراة : رأى النبي دانيال عليه السلام في المنام كتبًا ذا قرنين وفسره في التوراة بمملكة فارس التي لم تكن قد ظهرت بعد . ورأى كتبًا آخر ذا قرن واحد يهجم على هذا الكلب ذى القرنين ويقتله . وفسره في التوراة بملك من ملوك اليونان سيظهر في المستقبل ويقضى على دولة الفرس العظيمة ... وعلى ذلك فالمقصود بذي القرنين دولة فارس العظيمة التي أسسها الملك كورش والتي تنتهي بالملك دارا الثالث الذي في عهده قضى الإسكندر على دولة الفرس . والمقصود بذي القرن الواحد الإسكندر الأكبر

ودولة فارس كانت عاصمتها سوس في جنوب غرب إيران . وكان الشعب الفارسي في الجنوب والميديون في الشمال . والقرنان إشارة إلى هذين الجنسين . والقرن الواحد إشارة إلى أن اليونان جنس واحد . وكانت دولة فارس تملك عدا بلادها التركستان في وسط آسيا ، وبابل في حوض نهري الدجلة والفرات من الجنوب ،

ولا يعقل إلا أن يبقوا في ذلك التيه الذي ضربه الله عليهم ،
وإلا أن يحرمهم الله نعيم مصر أيضاً جزاء فسقهم وعصيانهم
ولا شك بعد هذا في أن ظاهر القرآن الكريم يشهد لذلك
التفسير الذي ذكرته ، وهو التفسير الذي يتفق مع المعروف
من تاريخ مصر القديم وتاريخ بني إسرائيل ، ولا اعتداد بتلك
الروايات المجهولة التي ذكرت في المنار وغيره ، ولم تبين لنا كيف
ملك موسى مصر ، ولا كيف تركها بعد أن تمكن منها
والله يعلم أني لم أطلع على ذلك التفسير الذي يتفق تفسيرى
معه ، وإنما كان ذلك من توارد الخواطر ، والخطب فيه سهل .
عبد المتعال الصغير

دفاع عن البلاغة

(بقية المنشور على صفحة ٢٠٢)

وهل تنتظر من رجل لا يقول إلا ليمبر عما في نفسه أن
يقول غير ما في نفسه ؟ وكيف يحازف بالألفاظ حين يصف
وهو لا يصف إلا ما أثر في قلبه أو وقع تحت حسه ؟ فليت
شعري هل نستطيع أن نكون اليوم كالبدو طييعين نستلهم
الواقع ونستوحى الطبيعة ! اليقين الذي لا رب فيه أننا لا نستطيع ،
لأن حياتنا قد أصبحت من التركب والتعقد والتصنع بحيث
لا تجد غريزة على جيلتها ، ولا عادة على طبيعتها ، ولا عاطفة من
عواطف الناس على أصلها وحقيقتها . فنحن نغزل من غير حب ،
ونمدح من غير عاطفة ، ونصف ما لم نر ، ونقص ما لم يقع ،
ونقمص في القصص أشخاصاً خياليين أو حقيقيين فنسلكهم
بلسانهم ، ونشعر بشعورهم . فكيف نستطيع في هذه الأحوال
أن نجد العبارة والحراصة اللتين يجدهما البدوي أو الهمجي ، من دون
كد ولا مماناة ؟ لقد جعلنا الطبيعة بالتصنع فتاً ، فينبغي أن نجعل
الفن بالتطبع طبيعة .

همس الزمان

• للكلام بنية •

كتاب الأصول البشرية ذكره أن موسى بعد أن هزم فرعون
مصر الذي فر إلى بلاد الحبشة حكم مصر ثلاث عشرة سنة ،
وبأن المتبادر من قوله تعالى : (ويستخلفكم في الأرض) .
وقوله : (قلنا من بعده لبني إسرائيل أسكنوا الأرض) وقوله :
(وأورثناها بني إسرائيل) أنهم رجعوا إلى مصر

وكل هذا لا يفيد الاستاذ الساكت بشيء ، لأن الله تعالى
قد عين ذلك التراث في قوله : (وأورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ، ونعت كلمة
ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع
فرعون وقومه وما كانوا يعمرشون) فالأرض المباركة هي أرض
الأنبياء من المسجد الأقصى وما حوله ، كما قال تعالى : (سبحانه
الذي أسرى بعبيده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى
الذي باركنا حوله) وهي الأرض المقدسة التي ذكر الله أنه
كتبها لهم في قوله : (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي
كتب الله لكم) فهذه الأرض هي التي كانت مطمح بني إسرائيل ،
وهي الإرت الذي كانوا يتطلمون إليه ، وأرسل موسى لأجل
أن يمكنهم منه

وقد فصل الله تعالى ما جرى لبني إسرائيل بعد مجاوزتهم
البحر ، وكرره في سور كثيرة من القرآن الكريم ، وذكر
من ذلك أنه حاول أن يحملهم على دخول الأرض التي وعدوا بها ،
فهاجوا قتال أهلها (قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا
فيها فاذهب أنت وربك قتلتا إنا ههنا قاعدون ، قال رب إني
لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ، قال
فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس
على القوم الفاسقين)

ولم يذكر الله تعالى فيما فصله وكرره من ذلك أنهم رجعوا
إلى مصر ، وهو لو صح حادث عظيم ما كان الله تعالى ليهمل
ذكره ، على أن أولئك القوم الذين عجزوا عن فتح بيت المقدس ،
وأظهروا ذلك المعجز والحين ، لا يعقل أن يبقوا على فتح مصر ،